مفهوم الزمان بين الآلية المادية، والحركةالدائرية
"أرسطو، وزينون الأكتيومي نموذجاً"

د. أميرة فاروق فؤاد عامر
دكتوراه في الفلسفة اليونانية – جامعة بنها

تمهيد

لقد ميز الله سبحانه، وتعالى الإنسان بالعقل عن باقى الكائنات الحية، الذى استطاع به تخطى المكان، والبيئة المحدودة المحيطة به التى يعيش فيها إلى التفكير فى العالم الخارجى اللامحدود وما وراء الطبيعة، فالإنسان يعيش حر طليق غير مقيد بمكان، يعيش الماضى، والحاضر، والمستقبل، ويدرك معنى الزمان، وأهميته، فالزمان ظاهرة حقيقية واقعية؛ أدركها الإنسان منذ بداية الخليقة، والدليل على وجوده الحقيقي المادي الملموس فى الكون منذ لحظة الميلاد، وحتي الفناء، كما يعد الزمان عاملاً اساسياً فى تشكيل الخبرات الحياتية المختلفة للإنسان عبر فترات حياته المختلفة، لذا اهتم العديد من العلماء، والفلاسفة بمفهوم الزمان عبر الحضارات الفلسفية المختلفة والمتباينة.

وموضوع بحثى هو مفهوم الزمان وحركته الدائرية عند أرسطو Aristotle (٣٨٤-٣٢٢ق.م) أحد عمالقة الميتافيزيقا Metaphysics فى العصر الهللينىHellenic age، والآلية المادية للزمان عند زينون الرواقى، والمدرسة الرواقية فى العصر الهللينستي Hellenistic age.

أولاً: إشكالية الزمان عبر الحقب الفلسفية المختلفة:.

منذ القدم ارتبط مفهوم الزمان Time بالمكان Space ارتباط وثيق، وأطلق عليهما مصطلح الزمكانية، لأنهما شكلان رئيسان لوجود المادة، ولقد ربط اليونانيون قبل أرسطو الزمان بالحركة، فالزمان هو مقدار، وعدد الحركة وليس الحركة نفسها، وأيضاً هو مقياس للحركة العامة في الكون، ومصدر الكون، والفساد، وبالتالي قوة فاعلة، وليس شيئاً سلبياً، ولا يرتبط بالنفس الإنسانية، وإنما بنفس حية هى النفس الكلية، أما أفلاطونPlato(٤٢٧-٣٤٧ق.م)، فرأى أن الزمان مظهر من مظاهر النظام فى العالم، وشرط سابق على فعل الصانع، فضلاً عن أنه جاء إلى الوجود مع السماء[١]، فهو الصورة المتحركة الخالدة السرمرية المتمركزة فى الوحدة[٢]، وعند أرسطو هو معيار ومقياس التغير الفيزيائى الجسمى المادى، ولهذا ربطه بالحركة[٣]، ثم جاءت الأفلاطونية المحدثة New-Platonism، فميزت بين نوعين من الزمان الطبيعي، وهو الذى عناه أرسطو؛ أما الثانى فيحاكى الكلية الحاضرة،

(١) عبدالرحمن بدوى، موسوعة الفلسفة، ج١، من أ إلى س، ط١، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٨٤صـ٥٥٥.

(2) Nicholas Bunnin and Jiyuan Yu, The Blackwell Dictionary of Western Philosophy , Wiley: BlackWell, Publishing, LTD, Uk, 2009.p690

(3) John W. Carlson, Words of Wisdom, a Philosophical Dictionary for the Perennial Tradition, University of Notre Dame Press, India. 2013. P.273,

والمعيـة الدائمـة، واللانهـائى الحاضـر، أمـا أفلـوطين Plotinus (٢٠٤-٢٧٠/٢٧٥م)، وتلميذه فورفوريوس الصوري Porphyry (٢٣٣- ٣٠٥) قالا بأن الزمان لا ينفصل عن النفس الكلية، لأن السرمدية لا تنفصل عن العقل، وهذا الزمان ينظر إليه على أنه دورات كدورات الكواكب المختلفة، فالزمان لديهم معقول، ولا ينتسب إلى العالم المحسوس، وعن يـامبليخوس Iamblichus (٢٨٠-٣٣٠م) قـال بأنـه السـرمدية؛ وهـو المقيـاس الكلـى للموجودات الحقيقية؛ بينما ينظر إلى الزمان القائم بذاته على أنه جوهر. وإذا انتقلت للحديث عن الزمان فى فلسفة العصور الوسطى عند القديس أوريليوس أوغسطين Aurelius Augustine (٣٥٠-٤٣٠م) الذى تحدث عن مشكلة الزمان في كتابه "الاعترافات"، وأقر بأن الزمان امتداد، ولا وجود له إلا إذا كان فى النفس تأثر مستمر، والزمان لا يقوم إلا بالنفس؛ فضلاً عن أن الزمان ليس مكوناً من آنات غير قابلة للقسمة، وإنما هو مدة متصلة، والطابع الأصيل للزمان هو المدة، والاستمرار، فعند أوغسطين الزمان ذاتي قائم بالنفس الإنسانية وحدها، وبدلاً من أن يعنى فيه الآن بالحاضر وحده، ستتجه العناية إلى الاثنين الآخريْن، وبخاصة الآن المستقبل، [١] ولقد رفض الفلاسفة المثاليون موضوعية الزمان، وأكدوا على الوعى الفردى، واعتبروا أن الزمان، والمكان شكلين قبليين للإدراكالحسى[٢]، أما كانط Kant (١٧٢٤-١٨٠٤م) فقد اعتبره شكلاً من أشكال الحدس، ويمكن إدراكه من خلال علم الرياضيات[٣]، أوكمقولتين للروح، والمطلق، هيجل Hegel (١٧٧٠-١٨٣٧م) الزمان، والمكان لا يوجد أي حقيقة خارجهما، والزمان، والمكان لا ينفصلان عن المادة، والمكان ذو أبعاد ثلاثة، أما الزمان فليس له إلا بعداً واحداً، ويعبر عن تتابع وجود الظواهر ؛تحل الواحدة محل الأخرى، والزمان لا يرتد، بمعنى أن كل عملية مادية تتطور من الماضى إلى المستقبل، وهكذا فالمادية الجدلية تنطلق من واقعة أن الحركة هى ماهية الزمان والمكان، وأكدت الفيزياء الحديثة على تلك الفكرة، واتبعت منهج نيوتن Newton (١٦٤٢-١٧٢٧ م)، واعتبرت الزمان والمكان منفصلين الواحد عن الآخر، والعلماء الطبيعيون حتى القرن العشرين ؛أتبعوا الآراء الذرية لديمقريطس Democritus (النصف الثاني من القرن الخامس حتي القرن الرابع)، وأبيقورEpicurus (٣٤١-٢٧١ق.م)، ووحدوا بين المكان والخواء، واعتبروه مطلقاً، ودائماً بلاحركة، ووحدوا بين المكان والزمان، ولقد برهنت الفيزياء

---

(١) عبد الرحمن بدوى، مرجع سابق، ص ص٥٥٦-٥٥٧

(٢) الموسوعة الفلسفية، وضع لجنة من العلماء والأكاديميين السوفياتيين، بإشراف روزنتال، يودين، ترجمةسمير كرم، وصادق جلال، وجورج طرابيشي، ط١، دارالطليعة، بيروت، ١٩٩٧، ص٢٣٦، مادة: الزمان، والمكان.

(3) Nicholas Bunnin and Jiyuan Yu, op.cit P.290

الحديثة على علاقتهما العميقة بالمادة التى هى فى حركة، وأن الزمان والمكان لايوجدان معزولين عن المادة[١]، فالزمن دائماً يشتمل على التطور والتقدم وجميع الأوامر، والأحداث والترتيبات التى تحدث فى الماضى والحاضر، والمستقبل مقياس موجه ومباشر له، فقد برهن العلم الحديث والمعاصر على أن تدفق الزمن، وامتداد الأجسام يتوقفان على السرعة التى تتحرك بها الأجسام؛ وأن خواص الزمان والمكان الهندسية ذات الأربعة أبعاد تتغير وفقاً لكتلة المادة، ومجال الجاذبية، ودحضت الهندسة اللا إقليدية تعاليم كانط عن الزمان والمكان باعتبارهما شكلين للإدراك الحسى خارج مدى التجربة، وقد استغل الفلاسفة المثاليون والفيزيائيون اختلاف آراء الناس عن الزمان، والمكان وكمبرر لرفض واقعهما الموضوعى، وترى المادية الجدلية أن المعرفة الإنسانية تقدم تصوراً أكثر عمقاً وسداداً للزمان والمكان الحقيقيين بشكل موضوعى. [٢]

ثانياً: هيرمينوطيقا الزمن عند أرسطو وآلياتها:-

الهيرمينوطيقا هى فن التأويل، والتفسير للنصوص المختلفة غير الواضحة، وهى كلمة مشتقة من الفعل اليونانى Hermeneueim والاسم Hermes (هرمس) معناه الشارح، والمفسر، ولم تنتشر إلا فى نهاية القرن السادس عشر، وبداية السابع عشر، ويعتبر أرسطو هو المؤسس الحقيقي للهيرمينوطيقا[٣]، وإن كان أستاذه أفلاطون قد سبقه في الإشارة إليها في محاورة أيون Ion.

أما عن هيرمينوطيقا الزمن عند أرسطو، فقد شغلت مشكلة الزمان، وطبيعته تفكير الإنسان منذ بداية الخليقة، وحتى الآن، وقد رأى الفلاسفة الطبيعيون السابقون على سقراط Pre-Socratics، وكذلك أفلاطون، أن ماهية الزمان فى الحركة، ولهذا ربط أرسطو الزمان بالحركة فى تعريفه للزمان، وعرفه بأنه مقدار، وعدد الحركة بحسب المتقدم، والمتأخر، [٤] فبعض الأشياء أسبق من حيث الوجود بالقوة، وبعضها يأتى من حيث الوجود بالفعل، أو بالقوة، فمثلاً نجد أن نصف الخط أسبق من الخط كله، وكذلك الهيولي بالنسبة للجوهر، أما من حيث القبلي والبعدي؛ فهناك بعض الأشياء يمكن أن توجد دون بعضها الآخر من حيث

---

(١) الموسوعة الفلسفية، مرجع سابق، ص٢٣٦

(٢) الموسوعة الفلسفية، المرجع، ص٢٣٦

(3) Michael Inwood, An Article In The Concise Routledge Encyclopedia of Philosophy, Routledge, London and NewYork.2000,p.348. art: Hermeneutics

(٤) عبد الرحمن بدوي، مرجع سابق، ص٥٥٥

"الكون"، مثل الكل دون الأجزاء، وبعضها الآخر من حيث "الفساد" مثل الجزء دون الكل[١]، وفن العمارة هو قوة البناء، فالقوة، تعد مصدراً للحركة، والتغيير فى الشئ ذاته، أو فى تحريك غيره، والتأثير فيه[٢]؛ فمثلا النفس غير متحركة، ولها محرك خارجى هو سبب لوجودها، ومع ذلك تتقدم كل حركة، ولها من الحركة العرضية مثل ما للأجسام من الصور[٣]، فضلاً عن أننا لا نشعر بالتغيير أو بالحركة إلا بمرور الزمان، وليس معنى ذلك أن الزمان هو الحركة ؛لأن تغيير الشئ فى الشئ ذاته، أو حيث يكون الشئ المتحرك أو المتغير، بينما الزمان فى كل مكان وكل الأشياء، ولا يخضع الزمان للحركات الجزئية، بل يميز لنا بين الأكثر والأقل[٤]، المقدم والمتأخر، فضلاً عن أنه فى العالم الطبيعى الوجود الأساسى للصور التى توجه وتشكل حياة جميع الكائنات الحية فى العالم[٥]، ويرى أرسطوفي الزمان كل أنواع الحركة، وليس نوعاً واحداً منها، بل عدد الحركات المتصلة، وليست الحركة المتصلة إلا الحركة الدائرية، والحركة الدائرية هى حركة الفلك، وعلى هذا فإن الحركة التى يعدها الزمان هى إذن حركة الفلك. [٦]؛ومن ثم يقول أرسطو بوجود عالمين: عالم فوق سطح سطح القمر؛ عالم الفلك، والكواكب، ولا يسوده الكون ولا الفساد، وعالم تحت سطح القمر ؛أي كوكب الأرض، يسوده الكون والفساد، وكلا العالمين متمايزان تمام التمايز، والحركة الوحيدة للعالم الأعلي هي الحركة البسيطة، الدائرية، الأزلية، الأبدية التي تحرك الكواكب، والأفلاك السماوية، فلكل كوكب فلك خاص به، ونفس، والمحرك الحقيقي هنا هو عقل الفلك، والحركة قسرية بالقوة، وليست بالفعل، أما العالم السفلي ففيه الكائنات الحية، وغير الحية، والحركة هنا إما لأعلي، وإما لأسفل، حسب الخفة، والثقل، والخفة للنار، أما الثقل فللتراب، وهناك نوعان آخران من البسائط، القريب من الثقيل وهو الماء، والقريب من الخفيف وهو الهواء، والسموات الخارجية، والكواكب، والكائنات الحية تتحرك لمحاكاة الفاعلية الأزلية، ومنه تقترب

---

(١) أرسطو "مدخل إلى الميتافيزيقا" مع ترجمة كاملة لكتاب ميتافيزيقا أرسطو، ترجمة إمام عبد الفتاح إمام، ط٣، نهضة مصر، القاهرة، ٢٠٠٩ .ص ص ٣٧٠-٣٧١

(2) The Complete Works of Aristotle, The Revised Oxford Translation, Jonathan Barnes, Opcit, P.1090 Bollingen Series LXXI.2, Vol 2, Sixth printing Princeton University Press, United States of America, 1995.1609

(٣) أرسطوطاليس "في النفس"الآراء الطبيعية المنسوب إلى فلوطرخس، "الحاس والمحسوس"لابن رشد، "النبات" المنسوب إلى أرسطوطاليس، راجعها، وشرحها، وحققها، وقدم لها، عبد الرحمن بدوي، وكالة المطبوعات، الكويت، دار القلم، بيروت، لبنان، ١٩٥٤، ص١٦١

(٤) عبدالرحمن بدوى، مرجع سابق، ص ٥٥٦

(5) David Sedley, The Cambridge Companion to Greek and Roman Philosophy, Cambridge University Press, Britain,2003,P142-

(٦) عبد الرحمن بدوي، المرجع نفسه، ص ص١١٣-٥٥٦

السموات الخارجية بحركتها الوحيدة المكانية الدائرية المتصلة[١] التي أساسها محرك أزلى ثابت يحرك، ولا يتحرك، سبب النمو والتكاثر، وكل الحركات الاساسية والثانوية فى الكون، وتصدر عنه الحركة المكانية الأزلية[٢]، مع العلم بوجود حركات مكانية أخرى أزلية، وهى الحركات الدائرية للكواكب، فالصورة التى رسمها أرسطو لعالم السماء استمدها من آراء الفلكيين التى كانت ذائعة فى القرن الخامس قبل الميلاد ؛فقد وجد أرسطو تصوراً رياضياً للعالم عند الفلكيين، وتصوراً آخر للعالم عند الطبيعيين، فالطبيعيون يركبون السماء من طبيعة الكواكب المحسوسة نفسها، ويجعلونها خاضعة لحركات الكون، والفساد، وهم يرون أن فى الكون حركة أزلية لا تترك أي شئ فى ثبات[٣]؛ منهم فيثاغورس Pythagoras (٥٨٠-٤٩٧ق.م)، الذي أكد أن الأفلاك، والأجسام السماوية، والنجوم تتحرك حركة دائرية على مسافة من النار المركزية[٤]، وتصدر أصواتاًمتناغمةبينها انسجام Harmony، وأطلق عليها عليها موسيقي الفضاء، وأن عالم الفضاء أكمل من عالم الأرض[٥]، وأن الفلكيين، وكذلك أفلاطون؛ وضعوا محل السماء المحبوسة سماء آخرى ذات تركيب هندسي ثابت يتألف من دوائر، وأفلاك متداخلة لكل منها حركة منتظمة معينة، أي أن لكل فلك حركته الخاصة به، والتى لا ترد إلى حركة فلك آخر غيره، وهذه النظرة تظهر بوضوح التعارض التام بين المعقولية التامة للموجودات السماوية، والتغيرات المستمرة في الموجودات الأرضية[٦]؛ فالفلك فالفلك عالم مليء بالسموات، والنجوم، والكواكب التي تتحرك بسرعات ثابتة، ومنتظمة في حركات دائرية، والأرض واحدة من النجوم التي تدور حول الشمس، وينشأ الليل والنهار، ويتعامدان قرب المركز. [٧]

---

(١) الموسوعة الفلسفية المختصرة، نقلها عن الإنجليزية فؤاد كامل، وجلال العشري، عبد الرشيد صادق، راجعها وأشرف عليها، وأضاف شخصيات إسلامية زكي نجيب محمود، دار القلم، بيروت، لبنان١٩٦٣، ص٤٨

(2) The Complete Works of Aristotle, The Revised Oxford Translation, Edited by Jonathan Barnes, Bollingen series LXXI.2, Vol 1, Princeton University Press, United States of America, 1995.p1090

(٣) محمد على أبوريان، تاريخ الفكر الفلسفي – الجزء الثانى، أرسطو، والمدارس المتأخرة، دار المعرفة الجامعية، ١٩٩٩الإسكندرية، ص ٢٠١

(4) Theoder Gomperz, Greek Thinkers, A History of Ancient Philosophy, vol1, Thoemmes press, England, 1996, p115.

(5) Nahm Milton.c.,Selections From Early Greek Philosophy, 3rd edit, Appleton-century-century-crofts, INC, New York, 1947, p72.

(٦) محمد على أبو ريان، المرجع نفسه، ص٢٠١

(7) Grays.RosenKrantz, Joshia Hoffman, Historical Dictionary of Metaphysics, Historical Historical Dictionaries of Religions, Philosophies, and Movements, No.103, The Scarecrow Pres, INc Lanham. Toronto. Playmouth.Uk. 2011P.46

ولما كانت الحركة الدائرية الأزلية الخاصة بموجودات عالم السماء؛ فإن السماوات ترغب في أن تحيا حياة تشبه المحرك الأول، ولكنها تعجز عن ذلك لماديتها، فتكتفى بمحاكاتها بالتحرك حركة متصلة دائمة، وهى الحركة الدائرية التى تختلف عن النقلة وعن الاستحالة فى أن أى نقطة فيها يمكن أن تعد نقطة بداية أو نهاية أو وسط، ولا يمكن التمييز فيها بين البداية والنهاية[١]، هناك أساس لتلك الحركة وهو الأثير Aether، وهو عنصر سماوى يختلف عن العناصر الأربعة[٢]، فضلاً عن أن من خصائص الجوهر قدرته على الحركة بانتظام، تلك الحركة الأزلية ذات الضرورة المطلقة ؛لأنه لايوجد زمان دون حركة، وهكذا نجد أن حركة السماء حركة دائرية، أزلية، ضرورية، لا بداية لها ولا نهاية، من حيث إنها ليست حركة بين أضداد الحركات الأخري، ومن ثم فليست هناك بداية للخلق، ولا أصل زمني لنظام الموجودات السماوية، بل إنها تتحرك حركات دائرية دائمة بفعل محركيها الأزليين. فالقول بقدم العالم، وأزلية الحركة، وإنكار الخلق، يجعل الله غير قادر على القيام بفعله الضروري، وهو الإيجاد، أو حتي مجرد الحفظ والعناية، فالله بحسب المذهب الأرسطي خاضع للضرورة الكونية، أي لمبدأ الحتمية، ثم كيف يكون إلهًا؛ لا اختيار له، أي لاحرية له في الفعل، ولا يعلم شيئاً عن موجوداته، إنه كمن فوق قمة هرم، وقد حيل بينه، وبين أن يرى ما تحته.[٣]

ثالثاً: الزمان عند زينون الاكتيومى، والرواقيين:

الرواقية ليست مذهباً فلسفياً وحسب، بل إنها فى حقيقة أمرها أخلاق ودين ؛فضلاً عن كونها نظرية علمية، ولعل أظهر طابع يميزها هو نزعتها العلمية التلفيقية، وينقسم تاريخ المذهب الرواقى إلى ثلاثة عصور، أو مراحل كبرى، وسوف أوجزها كما يلى:-

١- الرواقية القديمة، أو المبكرة Early Stoicism، وتمتد خلال فترة ٣٠٠ ق.م إلى ١٢٩ ق.م، ويمثلها زينون الاكتيومى مؤسس المدرسة، وكليانتس Cleanthes (٣٣١-٢٣٢ ق.م) وكريسيبوس Crysippus (٢٠٦ – ٢٨٠ق.م)، وكانت عنايتها بالطبيعة أكثر من الأخلاق.[٣]

٢- الرواقية المتوسطة Middle Stoicism، وتمتد من ١٢٩ ق.م إلى ٥٠ ق.م، ويمثلها بانيتيوس Panaetius (١٨٥- ١١٠ ق.م)، وبوسيدونيوس Posidonius (١٣٥ – ٥٠ ق.م)، وأهتمت بالأخلاق أكثر من الطبيعة.

---

(١) محمد على أبو ريان، مرجع سابق، ٢٠٣

(2) Gray S.Rosenkrantz and J.H, Op.Cit,p46

(٣) حربى عباس عطيتو، إتجاهات التفكير الفلسفى عند اليونان، العصر الهللينستى أورينتال، الإسكندرية، ٢٠٠٧، ٢٠٠٧، ص ١٩٧

٣- الرواقية المتأخرة (الرومانية) Roman Stoicism، وتمتد من (٣٠م – ١٨٠م)، ويقصد بها رواقية الإمبراطورية الرومانية، ويمثلها كلٌ من سينيكا Seneca (٤/١ ق.م –٦٥ م)، وابكتيتيوس Epictetus (٥٠ – ١٢٠م)، وماركوس أوريليوس Marcus Aurelius (٨٠ – ١٢١م)، وتميزت بالاهتمام بالنواحي الدينية، وتطبيق المبادئ الأخلاقية لتلك المدرسة[١]. إن نظرة الرواقيين للعالم نظرة مادية جسمية، فذهبوا إلى أن كل شئ موجود هو حسى محسوس[٢]، ولذلك رفضوا حقيقة وجود الزمان، فالموجود الحقيقي ما يقبل الفعل والانفعال، وإن كانوا لم يستطيعوا الإنكار على الإطلاق، لأن حقيقة الزمان كانت مفترضة ضمنا فى مذهبهم الخاص بما فى العالم من تطور، و نزوع وتحقق مستمر، وهذا كله يفترض وجود الزمان، ثم إن الحركة ليست ممكنة – إلا إذا كان الزمان مفترضاً من قبل افتراضاً، وقالوا بأن الزمان هو الفترة بين بدء العالم، ونهايته، فكأنهم تصوروا الزمان فى الواقع تصوراً أقرب ما يكون إلى تصور المسيحية[٣]، ولقد تتبعوا أرسطو في قوله بأن العالم محدود وكروي الشكل[٤]، ويعود من جديد، لأن الزمان يتحرك حركة دائرية كروية كما أكد أيضاً سينيكا ذلك، والذي عكست رسائله آراءه، وأفكاره أكثر من الأحداث، والعالم الخارجي[٥]، فضلاً عن تأييده لفيثاغورس، وأرسطو في قولهما بالحركة الدائرية للزمان في الكواكب والأفلاك، وأن كوكب الأرض هوأكثر الكواكب استقراراً وثباتاً في هذا العالم[٦]، أي أن العالم واحد كروى الشكل، ووراء العالم يمتد الخلاء اللامتناهى الذى لا يحتوى على أي جسم، أما داخل العالم فلا وجود للخلاء، فالزمان عندهم لا جسمى Incorporel؛ بلا جوهر؛ وبلا ماهية، وليس له وجود بذاته، وإنما وجوده فى حركة الجسم؛ لقد اختلفت وجهات النظر حول أساس مادية

---

(1) Andrew Erskine, The Hellenistic Stoa, Political Thought and Action, Gerald Duckworth, London, 1990.pp5-6

(2) J.V. Luce, An Introduction to Greek Philosophy, Thames and Hudson, LTD, London, 1992, P134

(٣) عبدالرحمن بدوى، مرجع سابق، ص٥٣٧

(4)

(5) Seneca,Oxford Reading in Classical Studies, Edited by John G. Fitch, Oxford University press, NewYork, 2008, p61

(6) Reading Seneca, Stoic Philosophy at Rome, Brad In Wood, Clarendon Press, Oxford, New York, 2005, p179

الرواقيين، فالبعض يرى أنها امتداد لتيار متطرف من تيارات المذهب المشائي، وآخرون يردونها إلى نزعتهم العملية، وهي نزعة متصلة بالعالم الظاهري المادي بصرف النظر عن أي عالم آخر، لقد أثبت الرواقيون مبدأين أوليين في الواقع هما المبدأ الفاعل، وهو العقل الكامن، وهو الله، والمبدأ المنفعل، وهي المادة جوهر لا صفة له؛ والله هو عين العقل، والقدر، وعنه تولدت جميع العناصر من ماء، وهواء، ونار، وتراب، بالإضافة للعنصر السماوي الأثير[١] وهو ما قال به أرسطو من قبل؛ وتجدر الإشارة إلى ضرورة التمييز بين المادية الرواقية، والطابع الرئيس للمادية كما ندركه، وهو تفسير المركب بالبسيط، والأعلى بالأدنى، وكل تفسيراتها تفسيرات كمية لا تتجاوز الانتقال، أو النقلة في المكان فالمادية الرواقية تفترض في العالم مجموعة من القوى باطنة فيه بالذات، وهذه القوى ليست كميات صرفة، بل هي قوى حقيقية حية مؤثرة، تؤثر فيه، فليس التفسير إذن كمياً على النحو المادي الموجود في العصر الحديث، وإنما تفسير ديناميكي، فالعالم الرواقي عالم جسماني تشع منه العديد من القوى؛ تجعل منه كلاً حياً مطلقاً، خارجه الخلاء، والزمان فيه عبارة عن بدء للوجود واستمرار حتي نهاية هذا الوجود.، [٢]

ولا نستطيع أن ننكر وجود آثار رواقية في الفكر الفلسفي القديم، والوسيط، ولقد انتقل أثر المدرسة الرواقية في الفيزياء، واللآهوت الطبيعي، خاصة عند القديس ماركوس مينوقيوس فليكس Marcus Minucius Flix (٢٠٠-٢٤٥م)، الذي تأثر بأرسطو، والرواقيين في الفيزياء، واللاهوت، والعالم الطبيعي. [٣]

رابعاً: أثر إشكالية الزمان الأرسطية في الفلسفة الرواقية، والفلسفات اللاحقة:

لقد جعل أرسطو الزمان قائماً على أساس المكان، وحاول استخلاص صفات الزمان من صفات الامتداد والمكان، ومن ثم، فالزمان يأخذ صورة مادية آلية دون أي حيوية، فالزمان الأرسطي زمن الساعات[٤]، والدقائق، والثواني، وفصول السنة، ومواقيت ظهور القمر، والكسوف، والخسوف، وغيرها من الظواهر الطبيعية،[٥] وتجدر الإشارة هنا إلى أن

---

(١) حربي عباس عطيتو، مرجع سابق، ص٢٠٩

(2) J.V.Luce,op.cit,p135

(3) Colish,Marica,L.,The Stoic Tradition From Antiquity to The Early Middle Ages,E.,j.Brill,Leiden,The Neitherlands,1990,P.2

(٤) عبد الرحمن بدوي، مرجع سابق، ص ١١١

(5) John W.Carlson,op.cit,p.273.

أرسطو جمع بين النظرة الذاتية للزمان، والنظرة الواقعية الموضوعية له، فأرسطو يجعل وجود الزمان متوقفاً على وجود الذات، وكذلك وجود الحركة التي تتوقف على الامتداد، أي الوجود المادي الملموس في الواقع الخارجي، وكأن نظرية أرسطو للزمان تتأرجح بين النظرة الذاتية الخالصة، والنظرة الموضوعية أوالواقعية[١]، وتجدر الإشارة إلى تأثر الفكر الكلامي، بالفلسفة اليونانية، خاصة أرسطو، وخير المحاولات الفلسفية المبكرة في المنهج الاعتزالي لإثبات حدوث العالم التي بدأها أبي الهذيل العلاف (١٣٥هـ-٧٥٢/٧٥٣م)، فقد اعتبر الحركة شرطاً لازماً لتكوين الأشياء، وتشكيلها مادياً، مع إقراره بحدوث العالم، ومبدأ الحركة، والسكون؛ ففي رأيه، أنه لابد منهما لإثبات حدوث العالم، وجعلهما من الأوصاف الطبيعية لجوهر الفرد حتي تكوين الأجسام، فشرط التكوين هنا هو الحركة والسكون، ولقد تأثر العلاف بأرسطو الذي جعل مبدأ الهيولي والصورة شرط وجود الحركة والسكون، ولا يحدث كون أو فساد إلا بالحركة، ولا نمو أو نقصان إلا بها، وإن كان أرسطوجعل الحركة تنتهي إلى محرك لا يتحرك؛أما العلاف فجعل الحركة نقلية من مكان لآخر، بينما كان للحركة الأرسطية معني أشمل من النقلة المكانية، وكذلك نجد أن النظام(٢٣١هـ-٨٤٥م) قداستعان بمقدمات أستاذه العلاف في إثبات حدوث العالم، وتناهي موجوداته، واعتبر أن كل حركة متناهية، مما يستدعي ضرورة حدوثها، وكل محدث يحدث عن علة، وإن كان لا يمكن التسلسل في العلل إلى ما لا نهاية، ولهذا ينبغي القول بعلة قديمة غير حديثة[٢]، وكذلك الفارابي (٨٧٢-٩٥٠م) أيد الحركة الدائرية للأفلاك الدائرية للزمان والمكان، وربط الزمان بالحركة، والمادة بالمكان، أما ابن سينا (٩٨٠-١٠٣٧م)، وإخوان الصفا Brethren of Purity؛ اعتبروا الزمان قديماً، وكذلك المكان، ولابد من وجود محرك أول لهم.. فأرسطو كان يحل الله، وينزهه من كل نقص، فكل شئ مشغوف بحب المبدأ الأول، ساع إلى لقائه، والاتصال به، ويحيا حياة شبيهة بحياة المبدأ الأول، لأنها مادية، فتحاكيها بالتحرك حركة متصلة دائمة هي الحركة الدائرية، ولكن كيف يمكن تدبير العالم من قبل إله لا يعلم إلا ذاته؟ فهنا أرسطو جعل الإله والعالم قطعتين منفصلتين لا اتصال لإحداهما بالأخرى، ولقد انتقد أرسطو أستاذه أفلاطون؛ في قوله بعالم المثل، ثم عجز عن تفسيرنشأة الأشياء من عالم المثل،[٣] والانسجام الإلهي الأزلي يخلع على العالم قدرة ذاتية مساوية للقدرة الإلهية؛فالقول

---

(١) عبد الرحمن بدوي، المرجع نفسه، ص ١١٢

(٢) معن زيادة، الموسوعة الفلسفية العربية، المجلد الأول (الاصطلاحات، والمفاهيم) ط١، معهد الإنماء العربي، بيروت، ١٩٨٦، ص٣٦٢

(٣) معن زيادة، الموسوعة الفلسفية، مرجع سابق، ص٣٦٢

بعقول محركة للكواكب لها الطبيعة الإلهية نفسها من ناحية أرسطو، إنما يعد إمعاناً منه في تجريد المحرك الأول من صفات الألوهية الكاملة. [١]

أما في الفكر العلمي المعاصر، الحركة كالمادة لا تفني ولا تُستحدث، ومصدر الحركة هو المادة نفسها، ولقداعتبرت الماركسية ذلك أساساً لبرنامجها الديالكتيكي؛واستنادا إلى ما أكدته الاكتشافات الفيزيائية في نهاية القرن التاسع عشر، والنصف الأول من القرن العشرين، قضي العلم الحديث على الفصل بين المادة والحركة، والذي امتازت به علوم الطبيعةالقديمة ذات الطابع الفيزيائي، والذي نظر للمادة بمعزل عن الحركة[٢] وإن كان ذلك لا ينفي الأثر العميق أو يلغي الدور الرائد للميتافيزيقا والطبيعة الأرسطية في تاريخ الفكر الفلسفي، والعلمي عبر العصور المختلفة، وحتي الآن.

(١) محمد على أبو ريان، مرجع سابق، ص٢٠٨

(٢) محمد عبد الرحمن مرحبا، الموسوعة الفلسفية الشاملة، من الفلسفة اليونانية إلى الفلسفة الإسلامية، المجلد الاول، عويدات للنشر، والطباعة، بيروت–لبنان، ٢٠٠٠، ص ص٢٠٣–٢٠٤

خاتمة البحث

من أهم النتائج التي توصلت إليها جراء تلك الدراسة ما يلي:-

أولاً:- منذ بداية الخليقة ارتبط مفهوم الزمان بالمكان، مما أدى لظهور مصطلح جديد هو الزمكانية، ولقد ربط اليونانيون الزمان بالحركة واعتبروه مقياساً لها، وإن كان لا يرتبط بالنفس الإنسانية، ثم جاء أفلاطون، وأكد فكرة أن الزمان شكل من أشكال النظام في الكون، وجاء مع السماء، كما اعتبر الزمان مقياس التغير الفيزيائي الحسي، ثم جاءت الأفلاطونية المحدثة، وميزت الزمان الطبيعي عن الزمان اللانهائي، أما في العصور الوسطى، فالزمان إمتداد، ولا وجود له إلا إذا كان في النفس تأثرمستمر، والزمان لا يقوم إلا بوجود النفس، أما الفلاسفة المثاليون فيرفضون موضوعية الزمان، والمادية الجدلية، التي أكدت على أن الحركة هي ماهية الزمان والمكان، وأكدت الفيزياء الحديثة على تلك الفكرة.

ثانياً:- لقد عرَّف أرسطو الزمان بأنه مقدار، وعدد الحركات بحسب المتقدم والمتأخر، ويتم فيه كل أنواع الحركة المتصلة الدائرية، والتي هي حركة الفلك، فجميع الكواكب والسموات الخارجية تتحرك حركة دائرية متصلة، وتقع فوق سطح القمر، أما الكائنات الحية، وغير الحية فتوجد تحت سطح القمر، فالفلك عالم ملئ بالكواكب، والنجوم التي تتحرك بسرعة منتظمة، وثابتةفي حركات دائرية، وأساس تلك الحركة؛ليس أي من العناصر الأربعة، بل هو عنصر سماوي خاص بهم، وهو الأثير.

ثالثاً:- اتبعت الرواقية التصور الأرسطي للحركات الدائرية للأفلاك والكواكب، واعتبرت أن الأرض كروية وتدور حول الشمس، فنظرة الرواقية للعالم مادية جسمية بحتة، وكل ماهو غير جسمي، لا يمكن الاعتراف بوجوده، وكذلك رفضوا الاعتراف بوجود المكان الذي اعتبروه الخلاء الذي تملؤه الأجسام، وكذلك الزمان، ولا يمكن أن تكون هناك حركة إلا إذا كان هناك زمان مفترض من قبل، فالزمان لديهم هو الفترة بين بدء العالم، وفنائه.

رابعاً:- استطاع أرسطو تكوين فلسفة متماسكة ومترابطة، ربط فيها الفلك بالفيزياء، وأثرت في العديد من المذاهب الفلسفية في كل الحقب الفلسفية، ولاقت قبولاًواستحسانا في المجتمع العلمي، فأرسطو جمع بين النظرة الذاتية للزمان، والنظرة الواقعية، وجعل وجود الزمان متوقفاً على وجود الذات، ووجود الحركة على الامتداد، وأثرت فلسفته في المنهج الإعتزالي لإثبات حدوث العالم، عند أبي الهذيل العلاف؛ الذي اعتبر

الحركة شرطاً لازماً لتكوين الأشياء، وتشكيلها مادياً، مع إقراره بحدوث العالم، ومبدأالحركة، والسكون، ولقد اتفق النظام مع أستاذه العلاف في إثبات حدوث العالم، وتناهي موجوداته، وأعتبر كل حركة متناهية، أما الفارابي كان مشائيا في آرائه عن حركة الأفلاك الدائرية للزمان وأبن سينا، وإخوان الصفا Brethren of Purity اعتبروا الزمان قديماً، وكذلك المكان، ولابد من وجود محرك أول يحركها؛ أما الفكر العلمي المعاصر فذهب إلى أن الحركة كالمادة، ومصدر الحركة هو المادة نفسها، ولقداعتبرت الماركسية ذلك اساساً لبرنامجها الديالكتيكي.

ثبت بأهم مصطلحات البحث

١-الأبدية : Eternity

استمرار وجود الشئ، وبقاؤه إلى ما لا نهاية، فالأبدية هى الشئ الذى له بداية، وليس له نهاية.

٢-الانسجام : Harmony

تآلف الأجزاء والوظائف فى وحدة عضوية متكاملة لا تعارض فيها، ولاخلاف.

٣-التغير: Change

كون الشئ بحال لم يكن عليه من قبل، أوانتقال الشئ من حالة الأخرى.

٤-الجوهر: Substance

أصل وجود الأشياء، والمركبات، وهو كل حجر يستخرج منه شئ ينتفع به، وجوهر كل شئ ما خلقت عليه، والجوهر – عند الفلاسفة – هو الموجود القائم بذاته حديثاً كان أم قديماً.

٥-الحدس: Intuition

الظن والتوهم في معاني الألفاظ والمفاهيم، وهو بمثابة النور الإلهي، و الإلهام، وكشف الوحي بالمعاني والمفاهيم المختلفة.

٦-الحركة : Movement

التغير الذي يحدث في الطبيعة، والعالم، والمجتمع، وصفة أساسية لوجود المادة.

٧-الحركة الذاتية: Self-Movement

الحركة التي مصدرها في الشيء المتحرك ذاته، وتعد نقيضاً للحافز الخارجي .

٨-الزمان: Time

الوقت، أو المدة الزمنية الواقعة بين حادثتين، أولهما سابقة، وثانيهما لاحقة، وجمع الزمان أزمنة.

٩-قبلي وبعدي prior and Posterior

قبلي تُطلق على المعارف التي تفرضها التجربة لعدم الكفاية للتفسير، والبعدي هي المعارف المتولدة من التجربة، أو المتعلقة بها .

١٠-الكلى : Universal

أحد أصناف الكيانات العقلية المجردة المستقلة طبقا للفلسفة الواقعية؛ حيث يفترض أن هذه الكليات هى التى تؤسس العلاقة بين الماهيات النوعية، والتشابه بين الأفراد.

١١-الكون : Cosmos

الوجود الذي حوي الموجودات والمخلوقات المختلفة حيث تعيش فيه؛ كما يطلق على العالم من حيث ما هو عالم، لا من حيث إنه حق، أو على العالم من جهة ما هو ذو نظام محكم، كما أن الكون – أيضا – هو المكون، أو المؤلف الذى أخرجه الله من العدم الى الوجود.

١٢-المادة : Matter

المادة فى اللغة هى كل شئ يكون مدداً لغيره، ومادة الشئ أصوله وعناصره التي تركب منها؛ حسية كانت أم معنوية؛ كمادة البناء، ومادة البحث، وللمادة معنى فلسفى؛ ألا وهو الجسم الطبيعى الذي تناوله على حاله، أو تحوله إلى شئ آخر لغاية معينة.

١٣-الماهية :Essence

كينونة الشئ؛أوما به الشئ هو هو؛لا موجود، ولا معدوم ٠

١٤-المطلق : Absolute

مقابل للمقيد، وهو التام، والكامل المتجرد من كل قيد، أوحصر، أواستثناء؛ كالضرورة المطلقة، والجمال المطلق، والسلطة المطلقة .

١٥-الوجود : Being

كل ما له وجود ذو كينونة، وليس خيالياً، أو فتراضياً، ويعتبر البعض أن الشئ يمكن أن يوجد بمجرد حصول صورته فى الذهن.

القواميس، والمعاجم العربية، والأجنبية المستخدمة:-

١- أندريه لالاند، موسوعة لالاند، المجلد الأول (A.G) تعريف خليل أحمد خليل، تعهده، وأشرف عليه أحمد عويدات، ط١، منشورات عويدات، بيروت، باريس، ١٩٩٦.

٢- عبده الحلو، معجم المصطلحات الفلسفية، فرنسي–عربي، ط١، المركز التربوي للبحوث، والإنماء، مكتبة لبنان، لبنان ١٩٩٤٠

3- Michael Proud foot and A.R. Lacey, Routledge Taylorand Fancies group, London and New York, 1996.

4- Thomas Mautner,A Dictionary of Philosophy,Blackwell,reference publishers,Cambridge,U.S.A,1996.

قائمة المصادر، والمراجع

أولاً: المصادر المترجمة إلى العربية:

١- أرسطو طاليس "فى النفس"، "الآراء الطبيعية" المنسوب إلى فلوطرخس، "الحاس والمحسوس" لابن رشد، "النبات" المنسوب إلى أرسطو طاليس، راجعها على أصولها اليونانية، وشرحها، وحققها، وقدم لها عبدالرحمن بدوى، وكالة المطبوعات الكويت، دار العلم بيروت – لبنان، ١٩٥٤.

٢- إمام عبدالفتاح إمام، مدخل إلى الميتافيزيقا، مع ترجمة كاملة لكتاب ميتافيزيقا أرسطو، ط٣، نهضة مصر للطباعة والنشر، القاهرة، ٢٠٠٩.

ثانياً: المراجع العربية:

١- حربى عباس عطيتو، إتجاهات التفكير الفلسفى عند اليونان، العصر الهللينستى أورينتال، الإسكندرية، ٢٠٠٧.

٢- محمد عبد الرحمن مرحبا، الموسوعة الفلسفية الشاملة، من الفلسفة اليونانية إلى الفلسفة الإسلامية، المجلد الأول، عويدات للنشر، والطباعة، بيروت–لبنان، ٢٠٠٠.

٣- محمد على أبوريان، تاريخ الفكر الفلسفي – الجزء الثانى، أرسطو والمدارس المتأخرة، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٩٩

ثالثاً: المصادر الأجنبية:

1- The Complete Works of Aristotle ,the Revised oxford translation edited by Jonathan Barnes,Bollingen series LXXI.2, vol1,Princeton University press, New Jersy, United State of America, 1984

2- ----------, the Revised Oxford Translation, edited by Jonathan Barnes, Bollingen series LXXI.2,Vol 2, Sixth printing Princeton University Press, United States of America, 1995.

3- Reading Seneca, Stoic Philosophy at Rome, Brad In Wood, Clarendon press, Oxford, New York, 2005.

4- Seneca, Oxford Reading in Classical Studies, Edited by, John G. Fitch, Oxford University press,NewYork,2008.

رابعاً: المراجع الأجنبية:

1- Andrew Erskine, The Hellenistic Stoa, Political Thought and Action, Gerald Duckworth, London, 1990.

2- Colish,Marica,L.,The Stoic Tradition From Antiquity to The Early Middle Ages, E., j. Brill, Leiden, The Netherlands, 1990, P.2.

3- David Sedley, The Cambridge Companion to Greek and Roman Philosophy, Cambridge University Press, Britain,2003.

4- J.V. Luce, An Introduction to Greek Philosophy, Thames and Hudson, LTD, London, 1992.

5- Nahm Milton. C., Selections from Early Greek Philosophy, 3rd edit, Appleton-century-crofts, INC, New York, 1947.

6- Theoder Gomperz, Greek Thinkers, AHistory of Ancient Philosophy, vol1, Thoemmes press, England, 1996.

خامساً: دوائر المعارف والمعاجم العربية، والمترجمة إليها:

١- عبدالرحمن بدوى، موسوعة الفلسفة، ج١، من أ إلى س، ط١، المؤسسة العربية للدرسات والنشر، بيروت، ١٩٨٤.

٢- معن زيادة، الموسوعة الفلسفية العربية، المجلد الأول (الاصطلاحات، والمفاهيم) ط١، معهد الإنماء العربي، بيروت، ١٩٨٦

٣- الموسوعة الفلسفية المختصرة، نقلها عن الإنجليزية فؤاد كامل، وجلال العشري، وعبد الرشيد صادق، راجعها وأشرف عليها، وأضاف شخصيات إسلامية زكي نجيب محمود، دار القلم، بيروت، لبنان١٩٦٣،

سادساً: الموسوعات، ودوائر المعارف، والقواميس الأجنبية:

1- The Concise Routledge Encyclopedia of Philosophy, Routledge, London and New York, 2000.

2- Grays.RosenKrantz, Joshia Hoffman, Historical Dictionary of Metaphysics, Historical Dictionaries of Religions, Philosophies, and Movements, No.103, The Scarecrow Pres, INc Lanham. Toronto. Playmouth. Uk. 2011.

3- John W. Carlson, Words of P Wisdom, a Philosophical Dictionary for the Perennial Tradition, University of Notre Dame Press, India. 2013.

4- Nicholas Bunnin and Jiyuan Yu, The Blackwell Dictionary of Western Philosophy , Wiley: BlackWell, publishing, LTD, Uk, 2009.